مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (21)– العدد (02)(ديسمبر، 2020) - ص 169 - 182
ISSN 1111-5149 /E.ISSN 2430-2588

الرحلة بين الواقع و فعل الكتابة

The journey between reality and the act of writing

سامية آجقو[1]، مخبر: أبحاث في اللغة والأدب الجزائري (جامعة بسكرة) ،
mohamedbounekhel@gmail.com

تاريخ الاستلام	2019-10-20	تاريخ القبول	2020-10-13

ملخّص

يروم هذا المقال مساءلة النص الرحلي والسفر في عوالمه الإبداعية، من خلال فعل الكتابة وآلياتها كمؤشر للاحتماء بخصوصيتها في ظل تداخل الأجناس الأدبية، حيث تحصنت باللغة والوصف والسرد لتفرض تضاريس هويتها الأدبية، فتمثل بذلك مرجعا تاريخيا وأدبيا وجغرافيا وأسطوريا وحتى جماليا.

فضلا عن استدعاء الذاكرة واستحضار التداعي الذي حقق دفقا سرديا وانفتاحا لشعرية اللغة، وكل هذا أبعد الخطاب الرحلي على مرّ الأزمان من الانغلاق والانسياق للمألوف والجاهز والتقليدي، وهو ما تحققه الكتابة من خلال إحداثية (التقريرية والإبداعية).

الكلمات مفتاحية:

الرحلة؛ الخطاب الرحلي؛ الكتابة؛ الأدب السياحي؛ الأدب الجغرافي.

Abstract

This article aims at questioning the ancient text and traveling in its creative worlds, through begging the act of writing and its mechanisms, as an indicator to protect its privacy in light of the overlap of literary races. Legendary and even aesthetically pleasing.

As well as recalling memory and opening the battleships of collapse, which achieved a narrative flow and control of the poetry of the language, and all this removed the rhetoric over time from the closure and drift of the familiar and ready and traditional.

Keywords

journey, discourse, writing, tourist literature, geographical literature.

---

[1]- سامية آجقو

مقدّمة

يولد الإنسان مفطوراً على حب الاكتشاف والمغامرة والارتحال، لفك حجب الأسرار واكتشاف ذاته من خلال تحسسه للآخر الأقوام والبلدان، وهو في رحلته هذه يؤسس لحوار بينه وبين المجهول، على اعتبار أن الرحلة مغامرة غير مضمونة العواقب، ليبقى الفضول الإنساني هو عسيلة الرحلة وغذاؤها.

ولطالما ارتبطت الرحلة بفن الحكي وفتنة السرد الذي بدوره ارتبط بزمن الليل؛ أين كان الإنسان البدائي يبدّد وحشته وسكونه وهو يتمطى عليه بصلبه كليل امرئ القيس، بحكاية مغامراته التي خاضها مرتحلا في النهار، وفي هذا قتل رمزيّ للزمن وانتصار للمكان الذي يحفظ هوية الرحلة؛ فالرحلة على هذا الأساس نافذة الروح وبصيرة الأعمى بعين ترصد وتتقصّى وتدوّن، في تجربة تتداعى فيها الذاكرة والأمكنة وتتباين فيها الألسنة والأجناس.

من هنا، وضمن هذا السياق يحضر التساؤل حول الرحلة بين الماهية وتعدد المصطلح؟ والرحلة بين الواقعية والتجربة الإبداعية (الكتابة) ؟

إنه الخطاب الرحلي الذي يحتفظ بتفاصيل الأمكان والأزمان والأشياء ويلقي عليها ظلاله النفسية وأصداءه الفكرية ،بما يفترض أن الكتابة في هذا السياق قد أتقنت الجمع بين الإبلاغي والبلاغي، وهذا الجمع يرفع سقف أدب الرحلة ويرسي جمالياته لغويا وأسلوبيا.

أولا: الرحلة بين المفهوم وتعدد المصطلح:

تبقى الرحلة تجربة إنسانية متجذرة في القدم، تكشف عوالم مخبوءة وتفضح التكوين القلق المسائل للوجود الإنساني في بعده الأدبي والديني، فالجاهلي في حموة رمال الصحراء كان يرتحل بحثاً عن الماء والكلأ وحفظا لأسباب الحياة، وفي هذه الرحلة المحتومة مادة خام للقصيدة الجاهلية قيّدها ديوان العرب (الشعر).

وقد أشار القرآن الكريم إلى رحلتَيْ قريش التجارية (رحلة الشتاء إلى بلاد الشام ورحلة الصيف إلى اليمن)؛ وتبقى مكّة المكرمة قِبْلَةً للرحلات التجارية والدينية تمتعت بمكانة عظيمة، تقاطر الناس عليها بدعوة خليل اللّه إبراهيم عليه السلام، وفيما يتعلق بالرحلات الخارجية إلى سوق العرب كسوق عكاظ وصنعاء، أما عن الرحلات الداخلية فكانت أيضاً لأداء فريضة الحج بدافع ديني، وكانوا يستفيدون من رحلتهم تلك في التبادل التجاري ضمن الأسواق المعقودة هناك. (محمد يوسف نواب، 1997، ص.30)

وهنا يتحدّد المعنى الجوهري للرحلة في طَرق أبواب المعرفة الإنسانية، إذ يمكن القول إن الرحالة العرب وجّهوا القسط الأعظم من عنايتهم إلى طباع الشعوب، وأخلاقها، المعتاد منها وغير المعتاد، في الأعياد والمواسم والاحتفالات والأفراح، وفيما يتعلق بالسلوك الديني والشؤون الشخصية (نصار، 1991، ص.121)، وبذلك تتواشج الصلة الاصطلاحية مع أدب الرحلة الذي يقوم على «عنصرين أساسيّين، لا يستغني أحدها عن الآخر (على ما بينهما من تنافر ظاهري): نص أدبي (لا يخلو من تخيّل طبعاً) مكتوب من حول رحلة واقعية ويقتضي ذلك أن تطفو أدبية النص (وما تستلزمه من حضور تعبيري يقطر سردا ووصفا وبهاء لغويا) على سطح مادة رحلية حدثت بالفعل في الواقع المكاني

للكاتب، وهكذا يحتّم العنصر الثاني إقصاء الرحلات الخيالية من هذا الأدب» (وغليسي، 2012، ص.278) وعليه فنص الرحلة لا يخرج عن حدود الواقعية، وفعل الكتابة عنه يقع تحت وطأة الرغبة والتراكمية التي غيبّت مصطلح الرحلة في بدايات هذا الفن فـــ «كلمة رحلة ليست من ابتكار العبدري فأول من سمى هذا النوع من الكتابة رحلة هو أحمد بن جبير المتوفى سنة 214 ه، إذن هو مؤسس فن الرحلة» (العبدري البلنسي، [د ت]، ص. ج) على أن الموضوع واحد تكاد تشترك فيه كل الأقلام الأدبية والنقدية وكل المعارف الإنسانية، فالرحلة في نظرهم «يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدون وصفا له، يسجل فيه مشاهداته، وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب » (إنجيل، 1975، ص.52) والثابت لا المتحول أن هوية الرحلة تقتات من الزمن وتطوي المسافات والأمكان، وعليه تتموقع الرحلة مفهوميا حول الشخصية، الزمن، المكان، الواقع والخيال، وكلها مجتمعة تطرح عديد المصطلحات التي تقع على تخوم مفهوم الرحلة، ومن أهمها وأقربها:

1- الأدب الجغرافي:

قد يعزى وضع هذا المصطلح إلى المستشرق الروسي الكبير إغناطيوس كراتشكوفسكي Ignaty Krachkovsky (1883-1951)، الخبير بتاريخ الأدب العربي قديمه وحديثه، فقد وضع كتابا ضخما يحمل هذا الاصطلاح في عنوانه، نقل إلى العربية بعد وفاته بست سنوات، ويصدق هذا التوصيف على عدد غير قليل من الكتب العربية التي يصعب إلحاقها بالكتب الجغرافية، واعتبروها جزءا منها، فشخصوها وصوروا انطباعاتهم وانفعالاتهم تجاهها، ومزجوا حقائقها بكثير من العجائب والغرائب التي نسجها الخيال الشعبي من حولها» (وغليسي، 2012، ص.280-281) وأيًّا كان فإن الأدب الجغرافي هو رسم خريطة؛ خطوط طولها ودوائر عرضها مقتصرة على قدرة الرحالة ونَفَسِهِ الطويل في اختزال المسافات وطيّ المفاوز، ويفضّل يوسف وغليسي «أن يدرج ضمنه ما يسمى (بأدب التضاريس) أو حتى (الأدب الكوزموغرافي)1 انطلاقا من ذلك العلم (Cosmographie) الذي يتخذ من وصف الكون موضوعاً له». (وغليسي، 2012، ص285)

والجدير بالذكر أن هذا النمط الرحلي الذي يفرض تضاريسه المادية على خارطة الأدب لا يخلو من دواخل الرحالة وانطباعه تحت وقع التأثر والتأثير.

2- الأدب السياحي:

وهو وجه آخر للرحلة وارتكان إلى زاوية السياحة في الأرض طلباً للنزهة وحبّا للاكتشاف، وقد تطرق عبد اللّه الركبيي إلى هذا النمط من خلال توسيم كتابه (في مدينة الضباب ومدن أخرى) وعنوان فرعي (سياحة أدبية) (تطرق إلى هذا الكتاب الدكتور يوسف وغليسي).

لقد سعى بعض الرحالة إلى البحث عن الحرية، والاجتياز المكاني، حيث المهم هو السفر لا المكان الذي يرتحل إليه، فالدافع القابع وراء القيام بهذه الرحلة هو التمتع بالحياة والوصول إلى مواطن الجمال في كل مكان والرغبة في اكتشاف ما لم تره العين، فيقوم الرحالة بالسفر بمحض إرادته دون دافع خارج عن حدود الذات. (نصار، 1991، ص.5)

وتبقى الذات هي اليد الفاعلة والدافعة لخوض الرحلة في سياق الفضول والاكتشاف «فالأدب السياحي هو ثمرة كل ذلك في شكل جمالي يطبعه الإمتاع الوصفي والتنميق الكلامي والتبليغ الانطباعي الذي يمتاز ببساطة الوظيفة الإخبارية، حيث يربأ السائح الأدبي بنصّه الجميل أن يُثقل بالمعلومات التاريخية والجغرافية الكثيرة الجافّة». (وغسيلي، 2012، ص.287-288) فالنص السياحي يحتفظ بخصوصيته الانطباعية والإخبارية في قالب وصفي يبتغي الإمتاع والتأثير في المتلقي.

وعليه فمن خصائص الرحلات السياحية التركيز على الجوانب المشرقة في الرحلة وتحبيبها إلى النفوس وتقريب صورة الآخر للقارئ في إطار نابض بالحياة، فالأدب السياحي «يسعى إلى التقريب بين الشعوب، عن طريق الترغيب في المكان والتركيز على الزوايا المشرقة من صورة الآخر، دون شوفينية دينية أو تعصب مذهبي أو ادعاء إنساني زائف» (وغسيلي، 2012، ص.288)، ولا يتأتى هذا إلا بمعايشة الرحالة للآخر (الأقوام) والاندماج في بنيته الاجتماعية والفكرية والدينية، وهو ما يسمح بتسرب لاوعيه الجمعيّ من خلال ممارساته اليومية التي تقف على حافة المعقول واللامعقول، وفي هذا ما يقف عنده ابن بطوطة قائلا عن عادات أهل الهند «إحراق المرأة بعد زوجها عندهم أمر مندوب إليه غير واجب لكن من أحرقت نفسها أحرز أهل بيتها شرفا بذلك، ونُسبوا إلى الوفاء، ومن لم تحرق نفسها، لبست خشن الثياب، وأقامت عند أهلها بائسة ممتهنة لعدم وفائها، ولكنها لا تُكره على إحراق نفسها. ولما تعاهدت النسوة الثلاث (...) على إحراق أنفسهن، أقمن قبل ذلك ثلاثة أيام في غناء وطرب وأكل وشرب، كأنهن يودعن الدنيا ... نزلن إلى الصهريج، وانغمسن فيه، وجردن ما عليهن من ثياب وحليّ، فتصدقن به، وأتيّت كل واحدة منهن بثوب قطن خشن غير مخيط، فرُبط بعضه على وسطها، وبعضه على رأسها وكتفيها. والنيران قد أضرمت على قرب من ذلك الصهريج، ... وصبّ عليهن زيت الجلجلان وهناك نحو خمسة عشر رجلا بأيديهم حزم من الخشب الرقيق، ومعهم نحو عشرة بأيديهم خشب كبّار... فرأيت إحداهن لما وصلت إلى تلك الملحفة نزعتها من أيدي الرجال بعنف وقالت لهم: مارا ميترساني أزاطش (آتش) من ميدانم أواتش أست رهاكني مارا، وهي تضحك، ومعنى هذا الكلام أبالنار تخوفونني ؟ أنا أعلم أنها نار محرقة... ورمت بنفسها فيها. وعند ذلك ضربت الأطبال والأنفار والأبواق... وجعل الآخرون تلك الخشب من فوقها لئلا تتحرك» (ابن بطوطة، 1987، ص.423-424)، وهذه الصور المشهدية تكعس عادات أهل الهند ونمط تفكيرهم، وقد نقلها الرحالة مؤثثة بأشخاصها وأحداثها ومؤطرةً بزمانها ومكانها.

ثانيا: هوية الرحلة إجناسيا

تمتلك الرحلة مرتكزات معرفية متنوعة تاريخية وجغرافية وإثنوغرافية (Ethnography)[2] وأدبية وعقائدية وغيرها، وكلها تبدأ من نهاية الحكاية (الرحلة)، ولعل هذا التنوع كان سببا في تهجين نوعها ورفضها الانحسار في جعبة جنس من الأجناس الأدبية أو الانزواء في حقل من الحقول المعرفية، ولما كانت اللغة المعبر بها مرتبطة بالذات فهي تمثل أحد أنماط الإبداع ومظهرا من تجليات فعل الكتابة، التي تعتمد الاستذكار استرجاعا يسمح بالتسلل إلى داخل التجربة الرحلية وتقصي كل أصواتها المعرفية المختلفة (تاريخية، أسطورية، جغرافية، اجتماعية، عقائدية)، وكلها تستقيم على

تقنية الحكي الذي يعتمد مستوى أفقيا يراعى فيه التتابع الزمني والحدثي فضلا عن الدقة والتفصيل، وأحيانا التخييل والتعجيب، وكلها متضافرة تعمل على تقريب صورة الآخر من القارئ.

يبدو أن الكتابة الرحلية ومن صلب ماهيتها تبني أشكالا ولا يمكن إلا أن توصف بالتعدد والاختلاف، وهو خصيصة من خصائصها الإجناسية، ولعل هذا الاختلاف والائتلاف في بنيتها جعل منها مادة نقدية تناولها الباحثون من زوايا مختلفة؛ فهي عند الغرب أدبا جغرافيا يجعل القارئ يلتقي فيه «بنماذج أدبية فنية رائعة، صيغت بالسجع أحيانا. والمصنفات الموضوعة من أجل جمهرة القرّاء يتراوح فيها العرض بين الجفاف والصرامة من جهة، والامتاع والحيوية من جهة أخرى وهنا تبدو مقدرة العرب الفائقة وبراعتهم في فن القصص» (كراتشكوفسكي، 1987، ص.20)، وهو ما يؤكد التهجين بين الأدب (القصُّ) وعلم الجغرافيا، من هنا يبدأ التعدد والانفتاح ليكون الخطاب الرحلي «نوعا من التعبير الأدبي الهجين والضبابي» (الدويهي، 1983، ص.59)، هذه الضبابية التي تسلقت أعناق المفهوم والمصطلح كانت سببا فاعلا في اللاتجنيس للرحلة، وبالتالي فهي منبع ذاخر لكل فن ومعرفة، ترفض التقييد أو التحييز في سجل معرفي واحد.

ومن خلال هذا الطرح تتضح الهوية الإجناسية لصالح الرحلة في كونها جنسا قائما بذاته له خصائصه الفنية والجمالية، فضلا عن ثرائها شكلا ومضمونا وهذا ما يؤكده عبد النبي ذاكر في قوله «أن الرحلة شكل أدبي هجين ينماز بتعدد أوجهه وتمظهراته، إلى حد أنه يمكن القول: إنه جنس متكامل يحطم قانون صفاء النوع، وذلك بإدماجه أنماطا خطابية متنوعة من حيث الأشكال والمحتويات، الشيء الذي يعطي الانطباع بأنه شكل مائع ومرن إلى حد كبير، إضافة شدّة تعقده واحتماله لأنماط وأساليب كتابية تبعده عن البساطة الظاهرة لتجعل منه جنسا مركبا وشموليا وعاما، وجنس الأجناس» (ذاكر، 1998، ص.35)، وهذا التركيب (جنس الأجناس) هو عنوان هوية أدب الرحلة الذي يرفض صفاء النوع وينحو نحو التكامل من خلال الجمع المؤتلف بين الأنماط الخطابية المتنوعة باختلاف أشكالها ومظامينيها.

ثالثا: أهمية الرحلة:

تكتسي الرحلات قيمة فنية تتجلى فيما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني وعلى الرغم مما يشتهر به أدب الرحلة من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار الوظيفي وغيره، فلقد صرف أصحابه النظر في غالب الأحيان عن العبث اللفظي والتكلف في تزويق العبارة، إيثارا للتعبير المؤدي لنجاح العمل وغرضه، بغضّ النظر عن تجربة صاحبه الشخصية والفنية، وهذا ما يفتقده كثير من الأدباء في عصورنا الأدبية. (أبو بكر، 1992، ص.13)، ولعل العامل الذي ساعد على إنجاح العملية الرحلية هو «أن حركة الانتقال كانت مباحة بين العواصم الإسلامية على هيئة بحوث علمية، وتسابق في الحصول على انجازات العلماء والشعراء وفي اقتناء الكتب الكبيرة والنادرة» (عويس، 1988، ص.39) وكلها عوامل تضافرت لتؤكد شرعية الرحلة الموثقة بالرغبة في التحصيل العلمي ومجالسة العلماء والأخذ بمآثرهم وآثارهم ينضاف إلى ذلك حرية

الارتحال إلى مختلف العواصم التي تشكل منابر علمية ذاع صيتها فكانت قبلة للمرتحلين على اختلاف مآربهم.

هذا الرحيل إلى الذات المبدعة، سيجبر الذاكرة على التداعي الحرّ، وسيجبر القريحة على التلفظ من خلال آلية الكتابة، فيغلب على خطاب الرحلة فعل الحكي ومتعة السرد وفتنة الخيال.

وهو الطرح الأدبي الذي لا ينفي الجانب الواقعي، ولا يضبِّب عين الحقيقة من خلال تصوير واقع المجتمعات وحضارتها من جانبيها المادي والمعنوي. ويجانب هذا القيمة العلمية للرحلات من خلال تضمينها للكثير من المدونات والمعارف التاريخية والجغرافية، وما تتضمنه من تصوير للحالة الاجتماعية، والسياسية، والعمرانية والاقتصادية وغيرها، للأماكن التي مرّ بها الرحالة، فلا يمكن بالإشارة أو التلميح بل يعتمد على الدقة والتفصيل، ويلقي عليها أضواء تجعل من جوانب الحالة التي يصورها وكأنها ماثلة أمامنا. (الشعار، 1999، ص.197) فالرحلة على هذا الأساس تجسيد حيّ لمختلف الجوانب الحياتية المادية والمعنوية.

فالرحالة يصف الممالك والبلدان والأصقاع والأقاليم والمدن والمسالك، ويتحدث عن المناخ والطبيعة، وعن ظاهرة توزيع السكان وغير ذلك، مما يعتبر من صميم الدراسات الجغرافية و(...) مرجعاً أساسيا، ومعينا كبيرا للعالم الجغرافي الذي يدرس تلك الموضوعات، مثل ذلك يمكن أن يقال في الرحلة بالنسبة لباقي العلوم والمعرفة (أبو بكر، 1992، ص.12)، وعليه فقد كان أدب الرحلات متكأ أكاديميا للدراسات الجغرافية، وقد امتدت يده إلى قارات العالم القديم (آسيا – أوروبا – إفريقيا)، إذ لم تقتصر إفادتهم للعالم الإسلامي وإنما تعدوها إلى البلدان الأجنبية، لأن العلم ملك مشاع للجميع، تُحصد فوائده في تثقيف القارئ وملأ جيوبه معرفيا وأدبيا وحضاريا، فالرحلة «اعتبارا من القرن السادس الهجري (العاشر ميلادي) انطلقت على أوسع مدى، وتجاوزت ديار المسلمين، على أمل أن تحقق أهدافا متنوعة؛ اقتصادية وهي تعمل لحساب التجارة، ودينية وهي تعمل لحساب فريضة الحج، وإدارية وهي تعمل لحساب العلاقات بين الدول الإسلامية ومجتمع الدول الخارجي، وعلمية وهي تعمل لحساب العلم وطلب المعرفة» (الشامي، 1989، ص.114)، وهو ما يؤكد أن الرحلة ترتِّب أصابعها حسب الغاية المرجوة منها اقتصاديا ودينيا وعلميا.

رابعا: الخطاب الرحلي بين الإبداع وفعل الكتابة:

تستحضر الرحلة عناصرها السردية من شخصيات وأحداث وإطار زمكاني يهيكلها، وكلها تخضع لسلطة الذات المبدعة وفعل الكتابة، ليبقى الخيط الذي يرتقها ويجمعها في لُحْمَة واحدة هو التجربة الواقعية التي تعزّز خاصية هذا الفن، «فأدب الرحلة قريب من أدب القصة. وأبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق لما يقدمه من متعة ذهنية كبرى، بالإضافة إلى أن الرحالة يحتفون بتلك القصص التي يضمنونها أدبهم ذاك بالمتعة التي تسموا به إلى مرتبة الأدب الفني الصرف في أغلب الأحيان». (نصار، 1991، ص.130)

فخطاب الرحلة خطاب ذاتي يعكس ميول الرحالة وفكره وانطباعاته ومزاجه، وفي المقام ذاته خطاب موضوعي علمي يتوخى الدقة والشرح والتفصيل؛ إذ يحتوي على معارف مختلفة جغرافية وتاريخية أدبية وإثنوغرافية ودينية وأسطورية وغيرها ...، إذ لا ينكر أحد «ما أفاده المثقفون – منذ

أقدم العصور – من أدب الرحلات، فتنوع موضوعاتها جعلها قبلة لمنح المعلومات الجغرافية والتاريخية والشعرية والصوفية والإثنولوجية (Ethnology)[3] » (ذاكر، 1998، ص.14) وعلى تنوع موضوعاتها وتعدد شعابها يستقيم عودها على تجانس أشكالها الفنية؛ فهي تستقي مدادها من فنون عدّة من الرسائل، والمقامات، والشعر، والسيّر والحكاية الشعبية والخطابة، وهنا تضيع حدودها وتغيب هويتها في ظل هذا التداخل الإجناسي وهي إشكالية كبرى أثارت النقاد العرب منهم والغرب، فإذا كان «التمثيل أبا للفنون فإنّ أدب الرحلات هو أبو الآداب، لأنه يحوي كل ألوان وفنون الأدب» (فرح، ص.05) هكذا تنتسب الرحلة إلى الشكل النصي المفتوح وذلك نتيجة مجموع مكونات ثقافية و اجتماعية وسياسية متداخلة، و نسيج متفاعل يشكل نصا يتموقع في ملتقى علامات شديدة التجذر في حقول تعبيرية شتى وعبر أنواع متقاربة و متباعدة تحمل في العمق رابطا خفيا يوحِّدها و يجسِّد الأثر الشخصي للخبرات الإنسانية، الأمر الذي يعطي لهذا التعدد الأنواعي و البصمات المميزة بُعدا منفتحا على شرايين وقنوات تتغذَّى من الأشكال الفنية المختلفة، لذا يبقى النص الرحلي، هو الشكل الوحيد الذي استطاع أن يكون في أكثر من موقع، ويقبض على المتخيَّل الجانح في فداحة العجيب و الغريب، وعلى الواقعي الهش والصلب في آنٍ؛ فهو يخترق كل الأشكال، و يحقق المشاهدات المرسومة بالدهشة و العجيب (حشلافي، 2017،ص.01) وهو ما يؤكد أن الكتابة الرحلية تقتات من العجيب و الغريب لتكسر أفق توقع القارئ، و تمتص بذلك رتابة الملل ونمطية الكتابة، فضلا عن كونها تجربة رحالة خبرها ووقف على مشاهدها وتصاويرها، في رحلة تخوض المجهول و تركب مطيَّة التَّخييل ومن الشَّواهد الحيّة ما ورد في رحلة ابن بطوطة قوله في حكاية المشعوذ الذي «أخذ كرة خشب لها ثقب فيها سيور طوال، فرمى بها إلى الهواء فارتفعت حتى غابت عن الأبصار، (...) فأخذ متعلما له فتعلَّق به وصعد في الهواء إلى أن غاب عن أبصارنا - فدعاه فلم يجبه ثلاثا – فأخذ سكينا بيده كالمغتاظ وتعلَّق بالسير إلى أن غاب أيضا، ثم رمى بيد الصبيِّ إلى الأرض، ثم رمى برجله، ثم بيده الأخرى، ثم برجله الأخرى، ثم بجسده، ثم برأسه ، ثم هبط وهو ينفخ، وثيابه ملطَّخة بالدَّم. فقبّل الأرض بين يدي الأمير وكلمه بالصيني وأمر له الأمير بشيء ثم إنه أخذ أعضاء الصبي، فألصق بعضها ببعض، وركله برجله فقام سويًّا، فعجبت منه» (ابن بطوطة، 1987، ص.653-654) وهو المشهد المؤثث بالتغريب الذي شدّ أنظار الرحالة ابن بطوطة.

وتبقى الرحلة نصا منفتحا يستقبل على مساحته النصيّة كل المضامين والأشكال يحمل فيه المرتحل جوازا لمختلف الجنسيات والأماكن، فهي على هذا الأساس «شكل أدبي هجين ينماز بتعدد أوجهه وتمظهراته، إلى حد انه يمكن القول: إنه جنس متكامل يحطم قانون صفاء النوع، وذلك بإدماجه أنماطا خطابية متنوعة من حيث الأشكال والمحتويات، الشيء الذي يعطي الانطباع بأنه شكل مائع ومرن إلى حد كبير، إضافة إلى شدّة تعقده واحتماله لأنماط وأساليب، ومضامين كتابية تبعده عن البساطة الظاهرة لتجعل منه جنسا مركبا وشموليا وعاما، وجنس الأجناس» (ذاكر، 1998، ص.35) ويترتب على ذلك أن يتميز أسلوب الكتابة فيه بصبغة العصر الذي تطبّع به ونمطه الفني الذي شاع فيه، ومعجمه اللغوي الذي استجمع مادته من فعل الرحلة واستقى مرادفاتها من طول تجربة، ومحاكاة

واقع (شاهد عيان) فصارت اللغة بدخولها إلى عالم الكتابة (النص الرحلي) دالّة على نفسها من خلال شكلها وبنائها.

ومن جهة أخرى تستدعي الرحلة البعد الواقعي معيارا لمصداقية مفهوم الرحلة، وهذا ما يقصي بالضرورة أو ينفي حضور الرحلة الخيالية التي عرج إليها أبو العلاء المعري في رسالته الغفران، وقبله ابن شهيد الأندلسي في رسالته التوابع والزوابع ورحلة الحارث بن أسد المحاسبي (التوهم)، وكلها امتطت صهوة الخيال تختزل المسافات والآفاق، وهي تعتمد في ذلك آليات الكتابة ووهج الإبداع، تستثمر مفهوم الرحلة في أمور غيبية خيالية تستحضر شخصيات وأحداثا ومواقفا من نسج الخيال وتعالج في المقام ذاته مسائل وجودية لطالما أرّقت الإنسان وأثارت فضوله و فضحت ضعفه، مثل رحلة ما بعد الموت، الحساب، والعقاب والجنّة والنار، وكلها تجربة إبداعية تعدم الواقع، لأنّها بكل بساطة التجربة التي عندما يعيشها الإنسان لا يمكن أن يكتب عنها، وهي المسافة الدلالية التي تحفظ خصوصية هذا النمط من الرحلات، وتجعله ينأى عن مفهوم الرحلة كما سنّها الرحالة في وجوب التنقل من مكان إلى آخر وتلّمس تضاريسه ورصد عادات قومه وآثارهم.

ويبقي أسلوب كتابة الخطاب الرحلي هو الرحالة نفسه، إذ يعتلي منبر السرد (الحكي) فتتعدد أدواره بين الراوي المنتج للحكاية وساردها، وأحد أبطال القصة المحركة للأحداث، أو الواقعة تحت دائرة المفعولية، وهو بوجه آخر مبتدأ الحكاية وخبرها لأنه مصدر الحقائق والمعلومات وحاصد الانطباعات والعادات والإيديولوجيات، ومدوِّن اللغات والمعتقدات.

وعلى هذا الأساس يصبح أدب الرحلة موسوعة شاملة لجوانب حياتية مختلفة، لأقوام وأمم توزعت على أرجاء المعمورة تباينت جلدتها وألسنتها، كل هذه المعطيات كانت مكونا بنائيا للخطاب الرحلي الذي امتطى رغبة السفر عنصرا جوهريا يحفظ خصوصية الرحلة سواء أكان المقصد منه تحقيقا لغرض ديني (الحج) أم دنيويا لتشرب العلم من مناهله وعلى أيدي أهله، أو التجارة لتحقيق مكاسب مادية، وهو مكسب الرحلة التي يجتمع في زوّادها نص الرحلة وفعل الكتابة ورغبة الذات المرتحلة وإرادتها، وقلق المغامرة وأخطارها... تلك هي أسئلة البحث في الخطاب الرحلي.

لقد غدت الكتابة عن الرحلة واقعا وخلقا وإبداعا، وفي الآن ذاته تجاوزا وتواصلا لتجارب ماضية، ورصدا للثقافي والحضاري والانثروبولوجي (Anthropology)4 والجغرافي والتاريخي، وكلها مجتمعة تؤسس فنية النص الرحلي، الذي توسل الكتابة واستدرج اللغة عن طريق الجمع بين (الواقع) والخيال والذاكرة، ذلك أن الإنسان يرتحل دائما ويخوض المغامرات ويتجشم الأخطار وتتوزع غاياته على فعل إرادته، لكنها عندما تبتعد عن دائرة الأدب، ورائحة المداد وآلية التخييل تصبح رحلة دون ردف لأدب أو فن.

وردفا على ما سبق يأتي السفر تيمة مهمة في المعجم الرحلي إذ هو الخيط الرابط بين كل مكونات الرحلة. فهو (السفر) «يسمح بالتصنيف، وهو في الوقت ذاته يمكننا من تلمس خصائص الكتابة، مادامت المصادقة، ويقدم لنا بقدر كبير، قواعد إنتاج النص وقواعد تلقيه معا» (كليطو، 1993، ص.127) فالسفر في الرحلة واقعة دالة، وعنصر مهم محفّز يثير الأحداث، ويتقصى الأمكنة ويختزل الزمن، وعلى طوله تمتد قامة المكان وتعج الأحداث وتتباين العادات والثقافات، كما يعد السفر «معيارا

نقديا يتم فيه التمييز بين الرحلة وباقي نصوص السفر، بين الرحلة والحَرْكَة، بين الرحلة والدليل السياحي» (مؤدن، 1996، ص.21).

وعن السفر والترحال يقول الإمام الشافعي:

مَـــا فِي المُقام لذي عَقْلٍ وذِي أدب ... من راحةٍ فَدَعِ الأوطانَ واغْتَـــــربِ
سَافِر تجدْ عَوَضاً عَمَّنْ تُفَارقُـــــهُ ... وانْصَبْ فَإنَّ لَذِيذَ العَيْشِ في النَّصَبِ
إنِّي رَأَيْتُ وُقُوفَ الماءِ يُفْسِـــــــدُهُ ... إن سَاحَ طَابَ وإنْ لَم يَجْرِ لم يَطِـــبِ
والأُسْدُ لَوْلا فِرَاقُ الأرْضِ ما افْتَرَسَتْ ... والسَّهْمُ لَوْلاَ فِراق القَوْسِ لم يُصِـبِ
والشَّمْسُ لو وقفت في الفُلْكِ دَائِمَـةً ... لَمَلَّهَا الناس مِنْ عُجْمٍ ومِنْ عَـــرَبِ
والتِّبْرُ كالتّرب مُلْقًى في أمَاكِنِـــــهِ ... والعُودُ في أَرْضِهِ نَوْعٌ من الحَطَـــبِ
فـــإن تَغَرَّب هذا عَزَّ مَطْلَبُـــــــهُ ... وإن تغرَّب ذَاكَ عزَّ كالذَهَـــــــبِ

(ديوان الشافعي، ص.26-27)

إن الرحالة يخوض تجربة السفر ثم يدوِّنها، لذلك يرد نصه الذي يروي حكاية حالة مخترقا بزمنين: زمن التجربة و زمن تدوينها أي زمن القصِّ، هذا الأخير لا ينفتح على زمن خوض التجربة إلا بالاستحضار والتذكر والحنين، وبذلك تصبح عملية التَّدوين في حدِّ ذاتها، إيثارا و كرما و سخاء، إيثار الرَّحَّالة لبني قومه و كرمه، فهو لا يغنم الثروة لنفسه بل يمكِّن ناسه مما غنمه فيجنِّبهم ويلات السفر وأهواله ومخاطره، و يحقق لهم عن طريق التخييل والحكي المتعة التي تتولد عن رواية تلك الأهوال والمخاطر. (حشلافي، 2017، ص.10)، فالرحلة تبقى منوطة بالسّفر والواقعيّة التي تنعكس زواياها على عادات الشعوب وأنماط تفكيرهم وصدق الرحالة وتأثره بما حوله.

خامسا: خصائص الخطاب الرحلي (الكتابة الرحلية)

لكل خطاب سماته البنيوية والأسلوبية التي تجعله ينفرد عن غيره من الخطابات، من حيث التأليف والمضامين، لأنه في كل الأحوال يخضع لتجربة الواقع، وسلطة الذات التي تنهل من مخزون معارفها ومن معين عواطفها وانطباعاتها. لتبقى طريقة بناء وصياغة الخطاب الرحلي رهن بما يسمى نمطية التأليف التي تعد بمثابة معايير معتمدة تحدد أو تحفظ طبيعة كل جنس أدبي، إذ يقول عبد الرحيم مؤدن في هذا الصدد «ولعل شرعية انتساب الرحلة إلى الجنس المستقل ببناءه وخصائصه يعود إلى هذه النمطية في التأليف». (مؤدن، 1996، ص.19)

إن الخطاب الرحلي على هذه الدرجة من الدينامية والحدثية، كان أحوج ما يكون إلى تقنيتي السرد والوصف، في تبادل للأدوار بما يخدم البنية العامة للخطاب، إذ ينهال السرد منتقلا من نقطة البداية (الانطلاق) ثم العودة إليها راصدا الأفعال والأحداث، التي تعتري الرحالة في سفره المتواصل، وفي أثنائه تستوقفه محطات يتوقف فيها السرد ليستفحل الوصف الذي يستريح على ذائقة الإبداع، فيتوقف الحدث وتنهال الأوصاف بألوانها وروائحها وهيئاتها، تثير انتباه الواصف وتحرك كوامنه لكي «يستوعب أكثر معاني الموصوف، حتى كأن يصور الموصوف فتراه نصب عينيك» (العسكري، 1986،

ص.128) ماثلا نابضا على دوال ورقية، كما هو الشأن في ذكر جامع دهلي إذ يقول فيه الرحالة واصفا «وجامع دهلي كبير الساحة، حيطانه وسقفه وفرشه كل ذلك من الحجارة البيض المنحوتة، أبدع نحت، ملصقة بالرصاص أتقن إلصاقه، لا خشبة به أصلا. وفيه ثلاث عشرة قبّة من حجارة، ومنبره أيضا من الحجر وله أربعة من الصحون. وفي وسط الجامع العمود الهائل الذي لا يُدرى من أي المعادن هو . ذكر لي بعض حكمائهم أنه يسمى هَفْت جُوش... ومعنى ذلك سبعة معادن وأنه مؤلف منها» (ابن بطوطة، 1987، ص.428).

ولمّا كان الشعر ديوان العرب وعلمها الأول، فالمسوّغ أن يضمّن الرحالة نصه الرحلي بأبيات أو مقاطع شعرية، قد تكون من عنده أو بما جادت به قرائح أخرى، وهو بهذا الصنيع يبتغي التخفيف من رتابة الرحلة ووقعها النثري الرتيب على فؤاد القارئ، كما أنه يرفع مكانة نصه الرحلي على سواعد الشعر على اعتبار أن الأمّة العربية أمة شاعرة بطبعها، وقد ينظم الرحالة الشعر ويغري حروف القصيد كما هو الشأن عند ابن جبير الذي وقف مُشيداً بمكة والمدينة المنورة، ومستوقفا باكيا مستذكرا وفاة زوجته عاتكة حيث قال فيها:

بسبتة لي سكن في الثرى وخلّ كريم إليها أتـــى
فلو أستطيع ركبت الهوى فزرت بها الحي والميت

(محمد بن جبير الكناني الأندلسي، ص.232)

وفي هذا نسوق الشواهد الشعرية التي حفلت بها رحلة ابن بطوطة في قوله «وتذكرتُ... قول الأديب البليغ المفلق أبي عبد اللّه محمد بن غالب الرصافي البلنسي، رحمه اللّه، في وصف هذا الجبل المبارك من قصيدته الشهيرة في مدح عبد المؤمن بن علي التي أوّلها:

لو جئت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ومن نور

وفيها يقول في وصف الجبل، وهو من البديع الذي يسبق إليه، بعد وصفه السفن وجوازها:

حتى رمت جبل الفتحين من جبـــل معظم القدر في الأجيال مذكور
من شامخ الأنف في سحنائه طلس له من الغيم جيب غير مـــزرور
نمسي النجوم على تكليل مفرقـه في الجو حائمه مثل الدنانيـــر
فربما مسحته من ذؤابهـــــــا بكل فضل على فوديه مجـــرور
وادردٍ من ثناياه بما أخـــــــذت منه معاجم أعواد الدهاريـــــر
محنك حلب الأيام أشطرهـــــــا وساقها سوق حادي العيرُ للعيـر
مقيّد الخطو جوال الخواطر فـــي عجيب أمرٌ به من ماضٍ ومنظور
قد واصل الصمت والإطراق مفتكرا بادي السكينة مغبَرّ الأساريـــر
كأنّه مكمـد مما تعبـــــــده خوف الوعيدين من دك وتسيير
أخلق به وحيال الأرض راجفـــــه أن يطمئن غدا من كل محـذور»

(ابن بطوطة، 1987، ص.679-680-681)

وفي حنينه إلى أهله وخلانه ومحبته بلاده يقول:

بلاد بها نيطة علي تمائـــــمي وأول أرضٍ مسّ جلدي ترابهـا

(ابن بطوطة، 1987، ص.668)

ولما كانت التجربة الرحلية تجربة ذاتية، تخضع لثقل الذات ومركزيتها ضمن الخطاب، فلا غرو أن يوظف الكاتب ضمير الأنا (المتكلم) بصوته المفرد أو الجمع (بمعية أصحابه)، إذ يتموقع الرحالة بين الفاعلية حينا والمفعولية أحيانا أخرى وهذا ما يضفي صبغة الواقعية على الرحلة، فالشخصيات حقيقية، والأماكن مادية جاثمة على الخريطة، والأحداث فاعلة في زمنها، وهي الخاصية التي تنماز بها الرحلة عن المقامة في رحلتها الخيالية.

وعلى إيقاع الذاتية ورغبة السياحة سرديا يقترب النص الرحلي من النص السير ذاتي أين تلتقي على مساحته الأنا المتكلمة والآخر التجربة بكل ثقلها بأشخاصها ومواقفها وزمانها ومكانها، متحدّة كلها في نسيج لغوي واحد وعلى مستوى من البوح الذاتي الذي يرصد التفاصيل الدقيقة لكل المشاهد الحياتية التي مرّت به حيث يتم التأريخ لها ميلاديا وهجريا، وكل هذه المعطيات تفرض نمطا جديداً للكتابة لتشكيل النص الرحلي (السير ذاتي) الذي تتجاذبه أطراف قارة تحفظ خصوصيته وهي (الذات والواقع) (الذاكرة والآخر)، وفي هذا إشارة إلى رأي عبد الملك مرتاض في تسمية هذا النمط (السيرذاتي) بمصطلح أدب المذكرات إذ يرى أنها قد تعلقت «بموضوع الرحلات فقد اتفق أن سافر كتاب جزائريون إما داخل الجزائر أو خارجها، فصوروا شعورهم إزاء ما شاهدوا وسجلوا عواطفهم اتجاه ما صادفهم في رحلاتهم، وهذا اللون من الأدب وإن لم يشع في الجزائر على نحو يجعل منه فنّا رفيع ذا نتائج أدبية ذات شأن، فإنه مع ذلك لا يخلو من مسحة أدبية يجعل إهماله ضربا من العقوق» (مرتاض، 1983، ص.293)، وهو ما يفرض ولاء الطاعة لهذا النمط الأدبي الذي اقترن بالكتابة كتوثيق حي له.

كما تستلهم الرحلة النص القرآني في مواضع مختلفة، وهذا يعود إلى المرجعية الدينية لأصحابها، ذلك أن «للقرآن فضلا على اللغة فقد أثر فيها (...) إذ ضمن لها حياة طيبة وعمرا طويلا وصانها من كل ما يشوّه خلقها ويذوي غضارتها، فأصبحت وهي اللغة الحيّة الخالدة من بين اللغات القديمة التي انطمست آثارها» (أحمد الهاشمي، ص.255) فالرحالة كما جمع بين الأقطار على نَفَسٍ واحدٍ، فقد جمع نصوص الأدب بما يخدم غايته، خاصة وأنه على الأديب أن يقتات من مائدة الأدب بشعره ونثره، دون الاعتراف بتلك الحدود الفاصلة بين الأجناس الأدبية، ولمّا كان النص القرآني هو النص الأعلى كان لابد على الأديب الرحالة ان يستشهد به ويقف على ظلاله الوارفة، حيث يعزز الرحالة نصه الرحلي بامتصاصه من رحيق القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة اقتباسا وتضمينا دون أن يدير ظهره إلى التراث العربي القديم من شعر وحكم وأمثال وخطابة ورسائل ووصايا وغيرها، وفي هذا المقام يعتلي النص القرآني كل أنواع الخطاب إذ يبوح الرحالة قائلا «زوجتي التي تركتها حاملا ولدت ولدا ذكرا فخطر لي السفر إلى الجزائر. وتذكرت العداوة التي بيني وبين الوزير عبد اللّه وفتحت المصحف فخرج لي [تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا] فاستخرت اللّه، وسافرت» (ابن

بطوطة، 1987، ص.621) وفي هذا الشاهد ما يثبت المرجعية الدينية للرحالة ابن بطوطة ومواقفه الحياتية التي تستند على نصوص شرعية.

وعليه «تبقى الكتابة من حيث هي حدث هي خرق وتجاوز وانجاز دائم وتفاعل مستمر، وتداخل لا ينتهي وتناص لا ينقضي» (عياشي، 1988، ص.46) وتقتضي الضرورة – بذلك – على الكاتب أن يتوسل سحر الكلمة والصدق الفني عبر السيولة اللفظية التي يمتلك ناصيتها، فللغة غوايتها وللخطاب الرحلي قوة الحضور من خلال ألوان بديعية أضاءت زوايا الرحلة المظلمة، كأن يوظّف الكاتب الجناس والطباق والسجع، الأمر الذي يضفي إيقاعا على النص يشد إليه الأسماع ويخلّب الأذهان، وطبيعي أن يتكلف البعض منهم في اختيار الجمل وترصيص الكلمات ليحدث الإيقاع وتتحقق الأسجاع؛ فاللغة تتعاطى مع الذات الواقعة بدورها تحت سلطة العاطفة والعقل، فتأتي مسترسلة حينا ومتكلفة متصنعة حينا آخر، وفي هذا السياق يصبح للنص الرحلي غاية البيان والتبيين وفيه نسوق قول لسان الدين بن الخطيب (ابن الخطيب خطرة الطيف، 2003، ص.36):

ولما اجتلينا من نجوم قبابنـــــا سنا كل خفاق الرواق بغـــــور

زرينا على شهب السماء بشهبها متى شئت يا زهر الثواقب غور

ونسوق قول الرحالة ابن بطوطة «رأينا على مسيرة نصف يوم. وهي خضرة نضرة، وأكثر أشجارها النارجيل والفوفل والقرنفل والعود الهندي والشكي والبركي والعنبة والجمون والنارنج الحلو وقصب الكافور. وبيع أهلها وشراؤهم لقطع قصدير وبالذهب الصيني التِّبر غير المسبوك» (ابن بطوطة، 1987، ص.629)، ومن مليح التجنيس أيضا ما ورد في نص الرحلة

«مالقة حييت ياتينهـــــــا فالفلك من أجلكِ يأتينها

نهى طبيبي عنك في علة ما لطبيبي عن حياتي نهى

وذيّلها قاضي الجماعة أبو عبد اللّه بن عبد الملك بقوله في قصد المجانسة:

وحمص لا تنس لها تينها واذكر مع التين زياتينها»

(ابن بطوطة، 1987، ص.682)

وقول ابن جبير واصفا مدينة (منبع) «بلدة فسيحة الأرجاء، صحيحة الهواء، يحفّ بها سور عتيق، ممتد الغاية والانتهاء، حولها صقيل ونسيمها أرج النشر عليل». (بن جبير الكناني الأندلسي، ص.194)

ويعتمد أدب الرحلة على النثر الأدبي الذي يجعل من موضوع الرحلة وحيثياتها مركز ثقل دلالي، يصوغه في قالب متميز له ملامحه وسماته المتفردة والمستقلة تتنوع فيه الأضرب الفنية بين التقريرية والإيحائية والرمزية، وتبقى الكتابة «الرحلة ملتبسة سواء على مستوى الهوية الإجناسية Génétique، أو على مستوى محاورتها -في سياق نظرية الأدب- لأجناس أدبية وغير أدبية». (مؤدن، 2006، ص.23)، وهو سر كينونة فن الرحلة، الذي يجمع على مساحته كل أنواع الخطابات ويؤالف بينها بما يحقق جمالية النص الرحلي.

خاتمة ونتائج الدراسة

وصفوة القول تبقى الرحلة قدر الإنسان المحتوم، رحلة دنيوية ورحلة أبدية بعد الموت، وحين تدخل الرحلة بمعطياتها إلى الأدب تتحول إلى فن قائم بذاته له خصائصه ومكوناته الفنية، ففعل الكتابة يضفي جمالية الفكر والإبداع على الرحلة، وتستقيم على راحلة التراث أصالة ترفد الأجيال بمصنّفات فريدة حافلة بالحقائق والنوادر والمعارف والثقافات والسيّر والأعلام وغيرها، الأمر الذي يجعل من أدب الرحلة قِبْلَةً للباحثين والدارسين على اِختلاف مشاربهم العلمية والفكرية.

ويبقى مفهوم الرحلة ثاويا في كنهها يعتمد السفر آلية قارة تصطف من ورائه كل مكونات الخطاب الرحلي، كما يتقاطع مصطلح أدب الرحلة مع غيره من المصطلحات (كالأدب الجغرافي، الأدب السياحي) ولكنّه ينماز عنهما بخاصية الشمولية والذاتية، إذ ينفتح على معارف متنوعة جغرافية ودينية وتاريخية وإثنوغرافية، وتتداخل في بنيتها خطابات عديدة من الرسالة والخطابة والحكاية والوصايا والمقامة. كما يتناوب على نسج نصها آليتا السرد والوصف ما يجعلها جامعة الأجناس في سلّة واحدة، وهذه الخصيصة تعلي من شأنها الأدبي وتجعل منها شاهدا حيًّا على الأزمان والأمكان والأقوام، لتبقى الرحلة والسفر فعلاً محموداً حثّ عليه الإسلام.

وفي هذا يقول الإمام الشافعي رحمه اللّه. (ديوان الشافعي، ص.27)

سَأَضْرِبُ في طُولِ البِلادِ وَعَرْضِها ... أَنَالُ مُرَادِي أَوْ أَمُوت غَرِيبـــاً
فَإن تَلِفَتْ نَفْسِي فَلِلَّهِ دَرُّهَـــــا ... وَإنْ سَلِمَتْ كَانَ الرُّجُوع قَرِيبًا

قائمة المصادر والمراجع

- أحمد الهاشمي السيد. (1990). *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*، تحقيق حسن حمد. بيروت: دار الجيل.
- ابن بطوطة. (1987). *رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: العريان محمد عبد المنعم*، (ط.1). لبنان: دار إحياء العلوم.
- أبو بكر أسماء. (1992). *ابن بطوطة الرجل والرحلة*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن الخطيب خطرة الطيف لسان الدين. (2003). *رحلات في المغرب والأندلس* تحقيق أحمد مختار العبادي، بيروت: دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي.
- ذاكر عبد النبي. (1998). *عتبات الكتابة، مقاربة لميثاق المحكي الرحلي العربي*. المغرب: منشورات مجموعة البحث الأكاديمي في الأدب الشخصي.
- عفيف الزعبي محمد . (1971) . *ديوان الشافعي*. بيروت: المكتبة الثقافية.
- الشامي صلاح الدين علي. (1989). *الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية*، (ط.2). مصر: منشأة المعارف الاسكندرية.
- الشعار فواز. (1999). *الأدب العربي الموسوعة العامة*.
- العبدري البلنسي محمد. (2007). *الرحلة المغربية*، تح: أحمد بن جدو. قسنطينة: مطبعة البحث.
- العسكري أبو هلال. (1986). *كتاب الصناعتين الكتابة والشعر*، تحقيق على محمد البحاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم. صيدا: المكتبة العصرية.

- عويس عبد الحليم. (1988). *ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري*، (ط.2). مصر: الزهراء للإعلام العربي.
- عياشي منذر. (1988). *الكتابة الثانية وفاتحة المتعة*. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- فرح فايز. (1990). *رحلات وحكايات*. القاهرة: دار المعارف.
- كراتشكوفسكي إغناطيوس. (1987). *تاريخ الأدب الجغرافي العربي*، تر: *صلاح الدين عثمان هاشم*، (ط.2). بيروت: (دار الغرب الإسلامي).
- كليطو عبد الفتاح. (1993). *المقامات*. الدار البيضاء: دار طوبقال.
- محمد بن جبير الكناني الأندلسي أبو الحسن. *رحلة ابن جبير، اختبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك*. (2010). بيروت: دار الكتب العلمية.
- محمد يوسف نواب عواطف. (1997). *الرحلات المغربية والأندلسية*. الرياض: مكتبة فهد الوطنية.
- مرتاض عبد الملك. (1983). *فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954)*، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- مؤدن عبد الرحيم. (1996). *أدبية الرحلة*، الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- مؤدن عبد الرحيم. (2006). *الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، مستويات السرد*، (ط.2). الامارات: دار السويدي للنشر والتوزيع.
- نصار حسين. (1991). *أدب الرحلة*. القاهرة: دار لونجمان للطباعة.
- وغسيلي يوسف. (2012). *في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية*. المحمدية، الجزائر: حبسور للنشر والتوزيع.

1- إنجيل بطرس. (1975). *الرحلات في الأدب الإنجليزي*. (ع.7). مجلة هلال.

2- حشلافي لخضر، روباش جميلة. (2017). *الآخر في الرحلات المغربية. (ج.1). (ع.8)* الجزائر: مجلة آفاق للعلوم.

3- الدويهي جبور. (1983). *الرحلة وكتب الرحلات الأوربية إلى الشرق حتى نهاية القرن الثامن عشر*، (ع.32). مجلة الفكر العربي.

الهوامش:

[1] - الأدب الكوزموغرافي: هي كلمة يونانية الأصل عربها المؤلفون العرب في القرون الإسلامية الأولى، وهي مكونة من كلمتين كوزموس ومعناها الكون، وغرافة ومعناها الوصف، فهي تعني وصف الكون، ومن بين مشاهير المؤلفين في هذا النوع من الأدب الكوزموغرافي أربعة هم: أبو حامد الغرناطي وزكريا القروييني والدمشقي المعروف بشيخ الربوة وابن الوردي الحلبي.

[2] - الإثنوغرافية: علم وصف الشعوب، وهو أحد علوم الإنسان وينصب على دراسة المظاهر المادية للنشاط الإنساني من عادات وتقاليد كالمأكل والملبس والمشرب.

[3] الإثنولوجية: وهي علم يدرس الأجناس والسلالات البشرية في نشأتها وخصائصها المميزة ونموها وتطورها والعوامل التي خضعت لها في هذا التميّز، ويهتم هذا العلم بالنظريات التي وضعت لتصنيف الشعوب على أساس الخصائص والمميزات السلالية.

[4] الانثروبولوجيا: علم الإنسان والحضارات والمجتمعات البشرية وسلوكيات الإنسان وأعماله.